# الفصل الرابع

## الأمراض الخلقية

- الشذوذ الجنسي .
- الـــــزنـــــــا .
- الإيدز .. طاعون عصر الفضاء .
- العـــــادة الســـريـــــة .



obeikandl.com

obeikandl.com

# الشذوذ الجنسي

هو قضاء الشهوة مع نفس الجنس ، وارتكاس وانتكاس ، ودليل شذوذ النفس وانحراف الشعور . . وبه يتدلى الإنسان الى أخس من مرتبة الحيوان ، إذ فطرة الحيوان تأبى مثل هذا العمل الدنئ . .

وقد عَاقَب اللّهُ قوم لوط على هذه الجريمة عقاباً مُروِّعاً ، إذ أمر جبريل برفع قراهم إلى السماء ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من صنع جهنم . . كل حجر مكتوب عليه اسم صاحبه . يقول تعالى :

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[1] .

وفي نفس الطريق الذي أدى بقوم لوط إلى الهاوية يتبعهم الغرب بحضارته المادية الجنسية حذو النعل بالنعل . . وقد نشرت الصحف مؤخراً : أن عشرين شخصاً يمثلون عشرين مليوناً من هواة ومحترفي اللواط والسحاق ذهبوا إلى الرئيس الأمريكي « كارتر » ليُقَدِّم لهم تسهيلات أكثر ، ويُصَرِّحون بأنهم يأملون فيه أكثر من غيره . .

ولعلك تعجب وتتساءل . . لِمَ لَمْ تجر عليهم سُنةُ اللّه في قوم لوط ؟ . . وهو سؤال ينم عن صفة العجلة في الإنسان والتي وصفه اللّه بها في قوله تعالى :

﴿ وكانَ الإنْسَانُ عَجُولاً ﴾[2] .

﴿ خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[3] .

﴿ وَيَسْتَعجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَنْ يَخْلِفَ اللّهُ وَعْدَهُ ﴾[4] .

---

(١) هود ٨٢ ، ٨٣ .
(٢) الإسراء : ١١ .
(٣) الأنبياء : ٣٧ .
(٤) الحج : ٤٧ .

وإذا أردت معرفة الإجابة فتدبر قول الله عز وجل :

﴿ أَوَ لَمْ يَسيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾[1] .

وتأمل قول رسول الله ﷺ : « إن الله ليُملي للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ :

﴿ وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[2] .

* * *

## • قوم لوط :

ولكي ندرك مدى شناعة الجُرم وبشاعته ، لا بد لنا أن نعرض قصة قوم لوط عرضاً سريعاً يبُين مكامن الداء ، ويطلعنا على مصارع الذين غضب الله عليهم . . ليكون في ذلك عبرة وعظة لقوم يعقلون .

قوم لوط هم أول من سَنُّوا الشذوذ الجنسي على وجه البسيطة ، فأرسل الحق تبارك وتعالى إليهم نبيه لوطاً :

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[3] .

فيم أجابوه ؟

لقد أجابوه إجابة منكرة . . إجابة كل مجتمع جاهلي يُسمى الفضيلة رجعية ،

---

(١) غافر : ٢١ . (٢) متفق عليه - والآية من سورة هود : ١٠٢ . (٣) النمل : ٥٤ . ٥٥.

ويُسمى الاحتشام تأخراً ، ويُسمى التدين تعصباً ، ويسمي الدعارة فناً . . إجابة المجتمع الذي يُعِد الطهارة جريمة يستحق الإنسان النفي بسببها :

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ، إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[1] .

واستشرى الشذوذ بينهم وانتشر ، وصار يُمارَس في مجتمعات القوم وفي أنديتهم - كما في أوروبا الآن - وطارت شهرة قوم لوط في هذا العمل الخبيث حتى لم ينج منهم ضيف أو غريب أو عابر سبيل . .

طفح الكيل وجاوز الأمر منتهاه ، فلا حوار لوط معهم يُجدي ، ولا إقناعه لهم بأن يتزوجوا النساء يُفيد ، بل لَجُّوا في طغيانهم يعمهون ، وقالوا له في صلف وصفاقة وإصرار : ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[2].

ورتبت السماء الأمر ، وأرسل الله وفداً من الملائكة برئاسة جبريل في مهمة مزدوجة ، فتوجهوا أولا إلى أبي الأنبياء إبراهيم . .ألقوا عليه السلام فرد عليهم التحية بأحسن منها ، ثم تسلل متخفياً وأتى لهم بعجل مشوي . . ولكن الخوف ساوره حينما رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام ، فلاحظت الملائكة ذلك على نبي الله ابراهيم فكشفوا عن خصيتهم وقالوا له : لا تخف ، إنا أُرسلنا إلى قوم لوط ، وكانت زوجته قائمة تنظر أمر هؤلاء ، فبشرتها الملائكة بولد اسمه إسحاق وولد لإسحاق اسمه يعقوب تعيش حتى تراه . ولكن المفاجأة أذهلتها ، فصكت وجهها وقالت : ﴿ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وأَنَا عَجُوزٌ وهَذَا بَعْلِي شَيْخاً ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[3] .. فردت عليها الملائكة قائلة : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[4] ..

---

(١) النمل : ٥٦ .
(٢) العنكبوت : ٢٩ .
(٣) هود : ٧٢ .
(٤) هود : ٧٣ .

ودار الحوار بين نبي الله إبراهيم والملائكة في شأن قوم لوط ، واحتمال رجوعهم عن غيهم ، ولكن الملائكة بينت له أن الله قد حسم القضية : ﴿ يَا إِبرَاهِيمُ أَعرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[1] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَد جَاءَتْ رُسُلُنا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاَماً ، قَالَ سَلاَمٌ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَتَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَماَ ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[2] .

وخرجت الملائكة قاصدة قرية لوط ، والتقوا به على مشارف سدوم وهو يجهل حالهم . . شباب في مقتبل العمر ، مشرقة وجوههم ، مبهجة طلعتهم ، وسيمة خلقتهم . . وعندما التقى بهم نبي الله لوط وعرف أنهم ضيوفه وضع يده على قلبه ، وكتم أنفاسه ، وتمتم قائلا : ﴿ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾[3] . وظل طوال الطريق يعرض لهم بأن ينصرفوا عنه فيقول : « والله ما أعلم على وجه الأرض أهل بيت أخبث من هؤلاء » وظل يكرر عليهم القول علهم ينصرفون عنه ، ولكن الملائكة تصحبه إلى داره ثابتة الخطى رابطة الجأش لتنفيذ أمر الله ، ودخلوا بيته، وما أن أخذوا مجالسهم حتى أسرعت زوجته الكافرة بإخبار القوم بهذا الصيد الثمين،

---

(١) هود : ٧٦ .　　(٢) هود : ٦٩ ، ٧٦ .　　(٣) هود : ٧٧ .

فقالت لهم : « إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط » وإذا بالقوم ينطلقون كالمجانين إلى دار لوط . . وعسكروا حول الدار ، وأخذ نبي الله لوط ينثر كل ما في جُعبته من وسائل الإقناع ، واستثارة أحاسيس الشفقة ، واستجاشة مشاعر الرجولة :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾[1] .

ولكنهم يجيبونه بكل صفاقة :

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[2] .

وتأزم الموقف . وتعقدت الأمور ، وانتاب الحزن الشديد قلب نبي الله لوط . ويكشف الضيوف عن حقيقتهم . . إنهم ملائكة :

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ ، إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ، إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[3] .

وخرج جبريل عليهم فضرب وجوههم ضربة بطرف جناحه فطمس أعينهم ، فرجعوا يتخبطون في الطريق . .

ولما جاء أمر الله عز وجل أمر جبريل - وهو الذي وصفه الله بأنه : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[4] .

أن يُنَفِّذْ فيهم حكمه ، فاقتلع قُرى قوم لوط من الماء الأسود حتى خرج مكانها البحر الميت ورفعها إلى السماء فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من

---

(١) هود : ٧٨ .
(٢) هود : ٧٩ ، ٨٠ .
(٣) هود : ٨١ .
(٤) التكوير : ٢٠ .

سجيل ، كل حجر يحمل اسم صاحبه . يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[1] .

وهكذا طوى الله صفحة من صفحات المفسدين في الأرض لعلها تكون عظة وعبرة للمعتبرين . . ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

﴿ وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] .

﴿ وتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾[3]

* * *

● التحذير من عمل قوم لوط :

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط » [4] .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله من وقع على بهيمة ، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط » [5] .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا استحلت أمتى خمساً فعليهم الدمار : إذا ظهر التلاعن ، وشربوا الخمور ، ولبسوا الحرير ، واتخذوا القيان ، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » [6] .

* * *

---

(١) هود : ٨٢ ، ٨٣ .
(٢) العنكبوت : ٣٥ .
(٣) الذاريات : ٣٧ .
(٤) رواه الترمذي ، وابن ماجه والحاكم .
(٥) رواه أحمد .
(٦) رواه البيهقي .

## • حتى الزوجة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا ينظر الله عز وجل إلى رجل جامع امرأته في دُبرها » [١] .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال ﷺ « لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في دُبرها » [٢] .

ولتنظر المرأة المسلمة كيف كرمها الإسلام وراعى مشاعرها ، لتنظر إلى الديانة اليهودية وكيف تجعل من المرأة كماً مهملاً لا قيمة له . .

« لما قال الحاخام يوحنا : إن اللواط بالزوجة غير جائز عارضوه في ذلك قائلين: إن الشرع لم يُحَرِّم هذا الأمر ، بل قال : لا يُخطئ اليهودي مهما فعل مع زوجته ، وأية طريقة اتبعها نحوها بأمر الزواج فهي بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحم اشتراها من الجزار يمكن أن يأكلها مسلوقة أو مشوية على حسب رغبته » [٣]

* * *

## • حكم الإسلام في جريمة الشذوذ الجنسي :

أعرض عليك حكم الإسلام في هذه الجريمة المنكرة ، ولست أقصد بذلك استنباط الأحكام أو المقارنة بين الآراء . . ولكن قصدت إلى توضيح حكم الإسلام في هذا الشذوذ الغريب عن الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها .

يقول النبي ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به » [٤] .

---

(١) رواه ابن ماجة .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) الزنا .. عن الكنز المرصود في قواعد التلمود .
(٤) إسناده على شرط البخاري .

وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب الى أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه وجد رجلا في بعض الأضاحي ينكح كما تنكح المرأة ، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم عليّ بن أبي طالب . . فقال عليّ : إن هذا ذنب لم تعمل به إلا أمة واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم ، أرى أن تحرقه بالنار .. فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يُحرق بالنار ، فأمر به أبو بكر أن يُحرق بالنار . .

وعن يزيد بن قيس ، أن علياً عليه السلام رجم لوطياً . .

ورُوى عن عمر أنه قال : من عمل عمل قوم لوط فاقتلوه . .

وعن سعيد بن يزيد قال : سُئل ابن عباس : ما حَدُّ اللوطي ؟ قال : يُنظر أعلى بيت في القرية فيُرمي مُنَكَّساً ثم يُتبع بالحجارة . .

وعن سعيد بن المسيب قال : على اللوطي الرجم ، أحصن أو لم يحصن .

وقال عبد الله بن عمر : يُحشر اللوطيون يوم القيامة في صورة القِردة والخنازير .

وفي الحديث : « اللوطيان لو اغتسلا بماء البحر لم يجزهما إلا أن يتوبا » .

وقال مجاهد : « لو أن الذي يعمل ذلك العمل - يعني عمل قوم لوط - اغتسل بكل قطرة في السماء وكل قطرة في الأرض لم يزل نجساً » . .

وقد ذكر الله - سبحانه - عقوبة اللوطية وما حل بهم من البلاء في عشر سور من القرآن وهي : سورة الأعراف ، وهود ، والحجر ، والأنبياء ، والفرقان ، والنمل ، والشعراء ، والعنكبوت ، والصافات . واقتربت الساعة ، وجمع على القوم بين عمي الأبصار ، وخسف الديار ، والقذف بالأحجار ، ودخول النار . . وقال مُحَذِّراً لمن عمل عملهم وما حل بهم من العذاب الشديد : ﴿ ومَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾[1] .

---

(١) هود : ٨٩ .

وقال بعض العلماء : إذا علا الذكرُ الذكر هربت الملائكة ، وعجَّت الأرض إلى ربها ، ونزل سخط الجبار - جل جلاله - عليهم ، وغشيتهم اللعنة ، وحَفَّتْ بهم الشياطين ، واستأذنت الأرض ربها أن تُخسف بهم . وثَقُل العرش على حملته ، وكبُرت الملائكة ، واستعرت الجحيم ، فإذا جاءته رُسل الله لقبض روحه نقلوها إلى ديار إخوانهم ، وموضع عذابهم ، فكانت روحه بين أرواحهم ، وذاك أضيق مكاناً وأعظم عذاباً من تنور الزناة ، فلا كانت لذَّة تُوجب هذا العذاب الأليم، وتسوق صاحبها إلى مرافقة أصحاب الجحيم . . تذهب اللذَّات وتعقب الحسرات، وتفنى الشهوة ، وتبقى الشقوة . .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يُنشد :

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الخزي والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار [1]

* * *

## • الأضرار الجسمية والنفسية للشذوذ الجنسي :

ومن الأضرار الجسمية والنفسية لهذه العلاقة الشاذة :

١ - عدم الميل الى المرأة : فيبلغ الأمر باللائط إلى عدم الميل إلى النساء ، وقد يصل به الأمر إلى أنه لا يملك مباشرة امرأة ما . .

٢ - الانعكاس النفسي : فيشعر الشاذ بأنه ما خُلِقَ ليكون رجلاً ، ولذلك يلازمه الإحساس بالميل إلى بني جنسه ، وتتجه أفكاره الخبيثة إلى أعضائهم التناسلية .

٣ - إضعاف القُوى النفسية والطبيعية ، فيُصاب الشاذ بالأمراض العصبية والنفسية كالسادية والماسوشية ، والفيتشزم ، وغيرها .

---

(١) انظر ذم الهوى لابن الجوزي ص ٢٠١ وما بعدها ، وروضة المحبين ص ٣٥٨ وما بعدها.

٤ - التأثير على المخ : يُصاب الشاذ باختلال التوازن العقلي والبلاهة الواضحة وشرود الفكر ، وذلك يرجع إلى قلة الإفرازات الداخلية التى تفرزها الغُدَّة الدَرقية ، والغُدد فوق الكُلى وغيرها وذلك من تأثير هذا الشذوذ . .

٥ - السويداء : فقد تكون هذه الممارسة غير الطبيعية سبباً في ظهور مرض السويداء وتكون عاملاً قوياً في إظهاره نتيجة للشذوذ الوظيفي لهذه الفاحشة المنكرة . .

٦ - عدم كفاية اللواط : فهذه العلاقة غير كافية لإشباع العاطفة الجنسية ، لأنها بعيدة عن الملامسة الطبيعية ، ولذلك فإنها لا تقوم بإرضاء المجموع العصبي . .

٧ - ارتخاء عضلات المستقيم وتمزقه : لأن هذا الوضع غير الطبيعي يسبب تمزق المستقيم وهتك أنسجته وارتخاء عضلاته ، فيفقد المستقيم قوة سيطرته على المواد البرازية ، وبالتالي فإن ذلك يسبب للفاسق عدم التحكم في عملية الإخراج.

٨ - الانحطاط الخُلقي : وكنتيجة مباشرة للخلل النفسي الذي يُصاب به هؤلاء الشواذ ، فإننا نجدهم يفقدون السيطرة على أنفسهم ، فيسببون لمجتمعاتهم الاضطراب والخلل بالسطو على الأطفال الصغار ، واستعمال العنف، والتجرؤ على ارتكاب أبشع الجرائم التي تسيل بها أنهار الصحف في المجتمعات التي فقدت نور ربها . ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[1] .

٩ - التأثير على أعضاء التناسل : يُضعف اللواط كذلك مراكز الإنزال الرئيسية في الجسم ، ويعمل على القضاء على الحيوانات المنوية فيه ، ويُؤثِّر على تركيب مواد المَنِّى ، وينتهي الأمر باللاطط الى العُقم . .

١٠ - الإصابة بالتيفود والدوسنتاريا : واللواط بجانب ذلك يسبب العدوى

---

(١) النـــــور : ٤٠ .

بحمى التيفود والدوسنتاريا والأمراض الخبيثة التي تنقل عن طريق التلوث بالمواد البرازية ..

١١ - أمراض الزنا : بالإضافة إلى الأمراض السالفة الذكر ، فإن هؤلاء الشواذ مُعَرَضون أيضاً للإصابة بالأمراض الرهيبة التي يُصاب بها الزناة .

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[١] .

وجاء أيضا في كتاب « القرآن والطب » : « إن من أهم الأسباب التي حُرِّمَ « اللواط » من أجلها بقاء الجهاز التناسلي عند الرجل والمرأة سليماً ، إذ أن لسلامته تأثيراً كبيراً في سلامة كل عضو آخر من أعضاء الجسم ، فمن المعروف علمياً أن الإفرازات التي يفرزها الجهاز التناسلي ترتبط بأوثق الصلات بإفراز الغُدَّة النُخامية ، تلك الغُدَّة الصغيرة الحجم العظيمة الشأن التي في أسفل المخ والتي تتحكم في نشاط أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة : القلب وسائر الأعضاء الأخرى والجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والجهاز العصبي . .

والجهاز التناسلي في الرجل والمرأة جهاز خال من الجراثيم تماماً بعكس نهاية الأمعاء الغليظة ، فإن الفضلات التي تخرج منها يتكون معظمها من جراثيم ضارة : جراثيم معروف علمياً أنها هي التي تُسبب القيح ، ولم يحتط لها الجسم إلا في هذا المكان فحسب ، بحيث لو وُجدت في مكان آخر لأدت إلى أعظم الضرر . . فتسربها إلى الجهاز التناسلي للرجل أو للمرأة أو لكليهما عن طريق اللواط يُفقد هذا الجهاز صفة طهارته من الجراثيم ، فيصبح مرتعاً لهذه الجراثيم، ويترتب على هذا إضعاف الحيوانات التناسلية وربما أدى ذلك إلى القضاء عليها.

وبما أن الجهاز التناسلي والغُدَّة النُخامية مرتبطان - كما أسلفنا - ارتباطاً وثيقاً فإنه يترتب على التهاب الجهاز التناسلي واضطراب إفرازاته اضطراب الغُدَّة النُخامية ، فيتأثر باضطرابها الجسم كله »[٢] . .

* * *

(١) انظر كتاب «القرآن والطب» للدكتور محمد وصفي ص ١٢٢ ومابعدها - والآية من سورة النحل : ١١٨ .

(٢) القرآن والطب : أحمد محمود سليمان ص ١١٧ .

# الـــــــــــزنا

مرض خُلُقي خبيث ، لا يظهر إلا في المجتمعات الجاهلية التي ابتعدت عن طهر السماء ونقائها لتتدنى إلى رِجس الجاهلية ودنسها .

وهذه الآفة المهلكة لا تستشري إلا في المجتمعات التي تعبد الجنس ، وتُقَدِّم له القرابين . . وتصير قَوادات الجنس فيه شموساً ساطعة في سماء الفن ، حتى تُقَدَّم الواحدة منهن إلى المحاكمة ، فيُخلى سبيلها لماضيها العريق في الفساد والإفساد ، ليُحبوا سنن الذين غضب الله عليهم ، من الذين كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه . .

أتذكرون ياشباب كيف كانت المومسات في الحضارة اليونانية - التي هوت - شموساً في سماء العلم والأدب . . وهكذا يُعيد التاريخ نفسه على أرض الإسلام . .!!

ولأن الطريق إلى هذه الجريمة الكبرى يمر عبر مراحل قد يستهين بها الإنسان ولا يلقي لها بالاً ، فإننا نجد رسول الله ﷺ يصف مدارج هذا الطريق ليكون المسلم على بينة من أمره ، وحتى لا يسترسل معها فتوصله إلى غضب الله فيقول : « كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنا ، مُدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زِناه الكلام ، واليد زِناها البَطش ، والرجل زِناها الخُطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويُصَدِّقُ ذلك الفرج أو يُكَذِّبه »[1] .

والحق - تبارك وتعالى - الخبير بخفايا النفوس لم يُحَذِّر من الزنا مباشرة وإنما حذَّر أولاً من مقدماته فقال : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِنَا ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[2] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) الاسراء : ٣٢ .

والمجتمعات التي تُشْحن فيها أجهزة الإعلام نفوس الشباب بالإثارة والمهيجات التى ينطلق في دمه شواظ منها ما ذاك إلا دعوة مُقَنَّعَةٌ لممارسة البغاء ، وهذا نوع من إلهاء الشعوب وتنويمها في خِدر لذيذ حتى تظل فاقدة الإحساس فلا تُحَرِّك ساكناً ولا تثور على باطل . .

ولعلك قرأت ما كتبنا عن الجنس في الغرب ، وما أدى إليه من فساد في الأسرة ، وتفكك في العلاقات ، واختلاط في الأنساب ، وجناية على النسل وانتشار للأمراض . . لقد كان في قَصصهم عِبرة لأُولي الألباب .

والإسلام عندما يُشَرِّع فإنه لا يُشَرِّع لمجتمعات انسلخت من آيات الله ، واتبعت أهواءها ، ولكنه يُشَرِّع لمجتمعات من صُنع الإسلام . . مجتمعات طاهرة نظيفة ، ولذلك فإن جريمة الزنا في البيئة الإسلامية لا وجود لها إلا في الشذوذ الذى لا يُقاس عليه ، وقد وضع الإسلام عقوبة رادعة قد تبلغ حد الإعدام رمياً بالحجارة على أعين الناس تطهيراً للمجتمع ، وحِفاظاً على الأعراض ، وقمعاً للذين يريدون تلويث المجتمع الإسلامي النظيف .

ومن بشاعة هذه الجريمة وجسامتها قرنها الله تعالى بالقتل في قوله :

﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ﴾[1] .

وكيف لا يكون الزاني قاتلا ، وقد انتهك عِرْضاً ، واستحل حُرمة ، وزرع بذره في غير أرضه . .

ولو تَبَصَّرَتَ بعين العقل ، وتأملتَ بعين الفكر طفلة ضائعة شريدة جاءت ثمرة مُرَّةً لشهوة لحظة .

هذه الطفلة الغضة البريئة ..

---

(١) الفرقان : ٦٨ .

هذه الزهرة المتفتحة في أكمامها . .

هذه التي قُذِفَ بها إلى الحياة لتَعاني شقاء الأبد . .

ماذا جنت . . لتفتح عينيها على الحياة فلا تجد مأوى إلا أحضان المؤسسات، أو ليتلقفها من لا يعرف اللّه من أبالسة البشر فيتاجر في عرضها ، ليُقدِّم للمجتمع ساقطة جديدة . . ؟

أية جريمة اقترفت . . لتنظر الى الأطفال فتجد لكل طفل أماً تحنو عليه ، وأباً يُسارع في هواه ، وهي لا تجد من المجتمع إلا كل احتقار وازدراء . . ؟

أية جريمة ، اقترفت . . لتتمنى الموت في كل يوم بل وفي كل ساعة ولسان حالها يقول :

لموتة تأخذ الإنسان واحدة  خير له من لقاء الموت مرات

أية جريمة اقترفت . . . حتى تُحرم من حقوق الرضاعة ، والنفقة والحضانة والتعليم وفي أن تنشأ في جو نفسي خال من العقد والضغوط النفسية . . ؟

أية جريمة اقترفت . . حتى تُحرم من دفء الحياة ونعيمها بين أبوين شرعيين تنعم في ظلهما بجمال الحياة . . ؟

لهذا قَرَنَ اللّهُ جريمة الزنا بجريمة القتل . .

ولهذا - أيضاً - ضرب الإسلام بيد من حديد كل من يحاول العبث بأعراض المجتمع المسلم . .

* * *

وهذا الزاني النجس الذيل قد يُصَوِّر له الوهم أنه كالفراشة ينتقل من زهرة إلى زهرة ، أو من فَنَنٍ إلى فنن ، ولكنه يُخطئ التصوير ، إنه كالكلب ينتقل من جيفة منتنة إلى جيفة متعفنة . .

يُصَوِّرُ لنفسه أنه يعيش حياة الانطلاق والانعتاق ، وفي الواقع أنه يعيش

سجين الأوهام . . يعيش ضائعاً ، تائهاً ، شريداً ، لا يستطيع الإقدام على الزواج ومسئولياته كما يقدم الرجال ، لأنه مُصاب بنقص في رجولته . .

يتحدث ابن القيم عن صفات الزاني فيقول : « الزنا يجمع خلال الشر كلها ، من قلة الدين ، وذهاب الورع ، وفساد المروءة ، وقلة الغيرة ، فلا تجد زانياً معه ورع ، ولا وفاء بعهد ، ولا صدق في حديث ، ولا محافظة على صديق ، ولا غيرة تامة على أهله ، فالغدر ، والكذب ، والخيانة ، وقلة الحياء ، وعدم المراقبة ، وعدم الأنفة للحرم ، وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته ، ومن موجبات غضب الرب بإفساده حُرمه وعياله . . ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة والبر والعدالة ، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن . . ومنها قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له ، وهو أحقر شئ في نفوسهم وعيونهم ، بخلاف العفيف فإنه يرزق المهابة والحلاوة.. ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة ولا يأمنه أحد على حرمه ولا على ولده . . . . »[1] .

ويقول الدكتور محمد وصفي تحت عنوان « أخلاق الزانية ونفسيتها » : « فالزانية مخلوقة شاذة ، وشذوذها لا يتفق مع طبيعة الرجل العادية ، من الناحية العقلية ، والنفسية والجنسية والأخلاق ، فهي مسلوبة الشرف والعفاف ، ظاهرة اللؤم والنفاق ، تُرضى كل طارق ، وتَدَّعي حُب كل زان ، تبتسم ابتسامة ملؤها النفاق والخداع ، وتُقبل عن نفس سقيمة عليلة ، وروح خادعة غاشة ، ألقت بُرقع الحياء ، ولبست أثواب الخبث والخديعة ، لا كرامة لها ، ولا قوام لأخلاقها ، لها عقيدة فاسدة ، ورأي ضال ، فلا تصلح أن تكون شريكة رجل مسلم مهذب النفس قويم الأخلاق حسن الطباع ، ولقد قال تعالى :

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾[2] .

* * *

---

(١) روضة المحبين ص ٣٤٨ ومابعدها .

(٢) النور : ٢٦ .

# علماء الطب والنفس وجريمة الزنا

يقول الدكتور فوزي علي جاد الله في كتاب « الصحة العامة » :

الأمراض السرية المعروفة : هي الزُهري ، والسَيَلان ، والقرحة الرخوة ، والجرانيولوما الأربية ، والجرانيولوما الليمفاوية السرية . .

وتختلف هذه الأمراض في مسبباتها الأساسية ولكنها تتشابه في وسائل انتقال العدوى بها ، وهي أساساً بالملامسة الجنسية ، وعلى ذلك فهي تتشابه أيضاً في طرق الوقاية والمكافحة ، وأهمها الزُهري والسيلان لارتفاع معدلات انتشارها ، والزُهري أخطرها لإزمانه وللمضاعفات الخطرة التي تنتج عنه من عجز وعاهات ووفيات ، والتقارير الصحية الحديثة تشير إلى اتجاه معدلات انتشار الزُهري والسيلان للارتفاع ، مما يشير إلى أهمية هذين المرضين في الصحة العامة الاجتماعية .

## • الزُهري :

تُعَرِّفه الموسوعة الطبية الحديثة بأنه مرض مُعْدٍ يصيب كل أنسجة الجسم وأعضائه ، ويُسبب الزُهري نوعاً من البيكتريا يُسمى الحلزونيات أو اللولبيات تنتقل من شخص الى آخر عن طريق الاتصال الجنسي . . ولا يُوُرَث الزُهري ، ولكنه ينتقل من الأم المصابة به إلى جنينها وهو ما يُسمى الزُهرى الخِلقي أو الولادي ، ويظهر على الوليد وقت الولادة أو بعد ذلك . .

وفي طَوره الأول تصل جراثيم الزُهري إلى الدم بعد اختراقها الجلد أو الغشاء المخاطي بساعات قليلة ، وتنتشر في جميع الجسم بعد أسبوع تقريباً . .

وأول علامات الزُهري ظهور قرحته المتميزة بعد العدوى بمدة تتراوح بين تسعة أيام وثلاثة أشهر ، وهي ثلاثة أسابيع في المتوسط . وقرحة الزُهري صلبة ، وتظهر على قضيب الرجل أو على فرج المرأة في مِهبلها . وقد تظهر على

الشفتين أو الثدي أو الأصابع أو حول الشرج ، ويمكن رؤية جراثيم الزُهري إذا فُحِصَ رشح القرحة تحت المجهر . . وتزول قُرحة الزُهري فيما بين عشرة أيام وأربعين يوماً بغير علاج ، وقد يؤدي ذلك إلى الاعتقاد الخاطئ بالشفاء . وقد لا تظهر قرحة الزُهري إطلاقاً ، أو تكون صغيرة فلا يميزها الفاحص . .

ويبدأ الطَور الثاني بعد زوال القرحة بمدة تتراوح بين شهرين وستة أشهر ويستمر سنتين تقريباً . .

وأول أعراض الزُهري في طَوره الثاني ظهور طفح على جزء من أجزاء الجسم، ثم يُغطي سطح الجلد كله ، وكذلك راحتي اليدين وإخمص القدمين ، ويشبه طفح الحصبة ولكنه لا يسبب حَكَّة ، ولا يمكن التحقق من أنه طفح الزُهري إلا بفحص الدم ، ومن أعراضه أيضاً صُداع وحُمَّى وإحساس بالمرض . . وقد تسقط خصل من الشعر ، وتتألم العظام والمفاصل ، وتظهر الأنيميا ( فقر الدم ) وتتأثر العينان . .

والزُهري في طَوره الثاني مُعْدٍ جداً ، وينتقل بسهولة ، وهو ينتشر بالتقبيل إذا ظهرت قروح مخاطية على الشفتين أو الفم . .

والطَور الثالث هو الطَور النهائي أو الزُهري الكامن . . وقد يظهر بعد زوال الزُهري الثانوي مباشرة أو بعد سنين طوال تتراوح بين خمس سنوات وخمس عشرة سنة أو أكثر ، وقد لا يشعر به المصاب رغم وجود الجراثيم في داخل جسمه ، وقد يكون فحص الدم سلبياً . .

وهذا الطَور قليل العدوى ، ولكنه شديد الخطورة على المصاب نفسه ، وتغزو الجراثيم جميع خلايا الجسم فتسبب فقد الإبصار ، وأمراضاً خطيرة بالرئتين والقلب والمخ وجميع الأعضاء الداخلية . . ويُصيب الزُهري العظام والمفاصل والجلد ، وقد يُسبب الزُهري قروحاً عميقة بالساقين ، والتهاباً مزمناً بالعظم ، وثقباً بالحنك الرخو . .

والزُهري مميت في طَوره الثالث إذا أصاب القلب أو الجهاز العصبي المركزي .

وسبب الوفاة في إصابة القلب أو الأورطـي أو أصستـه - إنفجـار الأورطـي أو إخفاق القلب . .

وتسبب إصابة الجهاز العصبي المركزي شللاً قد يُؤدي إلى الجنون والموت . .

ويتحدث الدكتور أحمد عكاشة عن أهم الأعراض العقلية لزهري الجهاز العصبي فيقول : « وأهم الأعراض العقلية في المرحلة الأولى والثانية هي الصداع . . صعوبة التركيز . . سهولة الإرهاق . . التهيج العصبي مع أعراض التوهم المرضي ». .

* * *

## • السَيَلان في الذكور :

أول أعراضه هو الإحساس بحرقان عند التبول ، شديد ، أو بسيط ، وإذا لم يُبادر المريض إلى العلاج فإن العدوى تمتد إلى الجزء الخلفي من مجرى البول في القضيب وعُنق المثانة والبروستاتا ، ويتبع ذلك كثرة التبول وأحياناً نزول دم مع البول ، ومما يزيد هذه المضاعفات الإثارة الجنسية ، وشرب الخمر ، وقد يُشفى تلقائياً بعد شهور أو سنة ، وقد تنشأ مضاعفات موضعية مثل خُرَّاج البروستاتا ، أو خُرَّاج الحُوَيْصَلة المنوية والتهاب الحبل المنوِّيْ أو أجزاء من الخصية مما قد يؤدي إلى العُقم . .

* * *

## • السَيَلان في الإناث :

الأعراض الابتدائية بسيطة ، وقد تمر دون ملاحظة ، وقد يُوجد إفراز مهبلي بسيط مع إحساس بالحرقان ، وقد يُحدث خُرَّاج في غُدَّة بارثولين في الشفرات ، وقد يمتد المرض من عُنق الرحم إلى الرحم ، ويصيب قناتي فالوب والمبيضين ، ويؤدي هذا إلى ارتفاع في درجة الحرارة وآلام في النصف الأسفل من البطن ، وقد ينتج عن هذا العُقم في المرأة ، وقد يُؤدي السَيَلان في الرجل أو المرأة إلى إلتهاب المفاصل ويُؤدي إلى عجز مفصلي دائم ، في أحد المفاصل . .

* * *

## • القرحة الرخوة :

مرض سري حاد موضعي يُكتسب عادة عن طريق الملامسة الجنسية ، والمسبب الأساسي للمرض ميكروب يُسمى باسيل دوكري . .

تبدأ أعراضه في الظهور على شكل منطقة حمراء صغيرة عند مكان دخول العدوى عادة على الأعضاء الجنسية ، وتكبر وتصبح حلمة تُكَوِّن قرحة لها حافة متعرجة ، وتفرز الصديد ، وهي قرحة مؤلمة وتنزف بسهولة ، وقد يظهر بعد أيام تضخم في الغدد الليمفاوية القريبة ، وتلتهب وقد تفتح على شكل دمامل أو بثور ثم تُشفى تلقائياً أو تستمر خاصة فيمن لا يراعون النظافة الشخصية ..

* * *

## • الجرانيولوما الأربية :

مرض مزمن معد بدرجة بسيطة ، ويصيب عادةً الأعضاء الجنسية الخارجية وما حولها ، يبدأ المرض على الأعضاء الجنسية الخارجية ، وينتشر تدريجياً إلى المناطق الأربية ويظهر على شكل تقرح أحمر مزمن جداً ، ويلتئم بصعوبة ، وإذا أُصيب المريض بعدوى ثانوية تصبح القروح مؤلمة ، ومصحوبة بارتفاع في درجة الحرارة ، وأعراض عامة ، وإذا لم يُعالج يُؤدي إلى عجز شديد وفقد الوزن والوفاة ..

* * *

## • الجرانيولوما الليمفاوية السرية :

مرض سري يتسبب من فيروس خاص يحمل اسم المرض ، ويُصيب الأوعية والغدد الليمفاوية في المنطقة الجنسية ، وتظهر على شكل تضخم في الغُدَّد الليمفاوية وتَقَرُّح وتَضَخُّم في الأعضاء الجنسية الخارجية ، وضيق في المستقيم .

وقد تكون أول الأعراض تضخم الغُدد الليمفاوية الأربية ، وتكون ساخنة ومؤلمة ، وقد تكون مصحوبة بارتفاع في درجة الحرارة ، وصداع ورعشة والتهاب في المفاصل ، وقد تكون خراريج وتتقرح في النهاية مع تكوين ما يشبه داء الفيل في الأعصاب الجنسية مع أورام حلمية حول مخرج الشَرَج ، وقد تؤدي

إلى ضيق في الشرج وكذلك التهاب المفاصل والملتحمة ، وقد يُؤدي المرض إلى العجز الشديد . . [1] .

* * *

هل رأيت الأمراض التي يسببها الزنا الذي وصفه الحق - تبارك وتعالى - بأنه كان فاحشة وساء سبيلا . . ؟

هل رأيت كل عضو في الجسم شارك في عملية الزنا أو في مقدماته ، وكيف يتلظى بالآلام الجسام ، ويصاب بالبثور والأورام . . ؟

أرأيت كيف يكون العقاب ؟ وكيف يكون الجزاء من جنس العمل ؟

بل هل رأيت عاقلاً يُفَضِّل التنعم بلحظة ليُعاني بها شقاء الدنيا والآخرة ؟

هذا مصير الزناة في الدنيا . . آلام رهيبة في أجسادهم قد تسلمهم إلى الموت ، وتخريب كامل في عقولهم قد يصل بهم إلى الجنون .

وأما في الآخرة فالعذاب الدائم الذي لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون .

عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مُدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومُصَدِّق بالسحر .. ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله عز وجل من نهر الغوطة » . قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : « نهر يجري من فروج المومسات ، يُؤذي أهل النار ريح فروجهن » [2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة ، فقال : « تقوى الله وحسن الخُلُق » ، وسُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار فقال: « الفم والفرج » [3] .

* * *

---

(١) راجع الموسوعة الطبية الحديثة جـ ٤ ص ٧٤٤ ، وكتاب الصحة العامة للدكتور فوزي علي جاد الله ، وكتاب الطب النفسي المعاصر للدكتور أحمد عكاشة .

(٢) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه الترمذي والبيهقي وابن حبان .

# الإيـــدز .. طاعون عصـــر الفضـــــاء

ظهرت الطبعات السابقة من هذا الكتاب قبل ظهور طاعون الإيدز ، وقد حذرنا من خلال معالجتنا لهذا الموضوع أن الطوفان الجنسي الرهيب سيفترس هذه الحضارة ليذرها أطلالاً دارسة ، وقد بات واضحاً فعلاً أن خطر الطاقة الجنسية أشد فتكاً من خطر الطاقة الذرية .

وظهور هذا الطاعون - نستعيذ بالله منه - في بداية الثمانينات ما هو إلا نتيجة طبيعية للفوضى الجنسية التي غرق فيها العالم فحقت عليه لعنة قوم لـــوط ، والتي حَذَّر منها الحق - تبارك وتعالى - بقوله : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[1] .

ويكفي أن تعلم أن السقوط في هذا المجال قد بلغ غايته ، فقد أسس أحد رجال الدين في أمريكا واسمه « ريفرندبري » كنيسة خاصة بالشواذ لها فروع في شيكاغو ، ونيويورك ، وبوسطن ، وواشنطون ، ولوس أنجلوس .

وأصبح زواج الشذوذ هذا مناسبة اجتماعية يدعى إليها أهل العروسين الشاذين مع بعض الأصدقاء ، وقد نُشرت الإحصاءات التي تحدد نصيب هؤلاء الشواذ من مرض الإيدز ، فقالت الإحصاءات إن نسبة المرضى بالإيدز من الشذوذ الجنسي ( الجماع الشرجي ) بين رجل ورجل يمثل نسبة ٧٥٪ من المصابين بهذا المرض .

وقد استولى الرعب العام علي الدول التي ابتليت بهذا الطاعون ، حتى السينما في أوروبا بدأت تتراجع عن إخراج أفلام الجنس والدعارة .

وهذا قاضي أمريكي يرفض أن يَمْثُل المتهم المريض بالإيدز أمامـه فـي قـاعـة

---

(١) هود : ٨٣ .

الجلسة خوفاً من العدوى ، وتم إجراء أغرب محاكمة لهذا المتهم ، فقد أجلسوه في زنزانته أمام عدسة « ڤيديو » راحت تنقل إلى القاضي أقوال المتهم وإجاباته . . حتى الحانوتي في أوروبا الآن يرفض تجهيز ميت الإيدز ، وإذا عثر على من يقبل ذلك فإنه يرتدي ملابس رواد الفضاء .

وقد عبرت الدكتوة « مارجريت هنكلر » وزيرة الصحة في أمريكا عن هذا الرعب الطاغي فقالت : « إن الخوف من المرض ربما يكون أسوأ من المرض نفســـه ، ولقد تجاوز الخوف من الإيدز في الولايات المتحدة كل حدود المنطق والعقل » .

* * *

## • ماذا تعرف عن الإيدز ؟

إن جسم الإنسان له جيش دفاعي قوي يتمثل في التشكيلات الدفاعية والقوات الانتحارية ، ودوريات الحراسة .

فهناك الخلايا الليمفاوية (ت) وهناك الخلايا (ب) وهناك الخلايا الالتهامية ، وكلها تسبح في الدم في شكل دوريات عمل مستمرة لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً ، وتتعاون هذه الخلايا معاً في تكوين فريق عمل متكامل يعمل باتساق شديد للدفاع عن الجسم وحمايته ضد الغزاة ، فإذا حدثت غارة فيروسية بقيادة فيروس الإيدز عن طريق فرج شـــاذ ، أو حقنـــة في الوريد الدموي فـــي ذراع مدمن ، أو نقل دم ملوث ، فإن فيروس الإيدز ينهي المعركة بمقتل مدير حركة الدفاع : الخلايا ( ت ) ، فيسرى الشلل والإحباط إلى بقية قوات الدفاع من الخلايا الالتهامية والخلايا ( ب ) ، ويبقى الجسم كلاً مستباحاً - بعد تدمير دفاعاته وحصونه - لكل غاز من توافه الميكروبات والجراثيم والڤيروسات لتنتهي به إلى الموت المحتوم[1] .

---

(١) انظر كتاب « الطاعون الأبيض » للدكتور محمد محمود أبو العلا .

وإزاء هذا الخطر الداهم لهذا الڤيروس يجتمع الأطباء ويَنْفَضُّون دون التوصل إلى علاج حاسم ليؤكدوا في كل مؤتمر على أساليب الوقاية التي دعا إليها القرآن وَحَذَّرَ من التمرد عليها ، حتى لا يُدَمِّر الإنسان نفسه برفض هدايات السماء ! !

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلاً ﴾[1] .

وجعل من صفات المفلحين من المؤمنين حفظ الفروج إلا عن الأزواج ، فقال تعالى : ﴿ والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾[2] .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ماظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا . . »[3] .

وفي رواية : « ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت »

وهكذا : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4] .

* * *

(١) الإسراء : ٣٢ .
(٢) المؤمنون : ٥ -٧ .
(٣) من حديث رواه ابن ماجة والحاكم .
(٤) الروم : ٤١ .

# العادة السرية

لن نركز في هذا المجال على حكم الإسلام في العادة السرية فحسب ، لأنه من المسلم به أن كل شاب قد سمع أقوالا متضاربة عن حكمها . . ولكننا سنحاول ما وسعنا الجهد - أن نضع أقدام شبابنا على طريق الفرار منها ، وذلك إذا صدقوا العزم ، وأخلصوا النية لله . . . ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[1] .

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[2] .

## • حكم الإسلام في العادة السرية :

لسنا من هواة عرض خلافات العلماء في المسائل الفقهية وبخاصة إذا كنا نخاطب الشباب . . ولكننا نجد أنفسنا مضطرين إلى ذلك ، لأنه ربما لو ذهبنا إلى رأي وسمع الشاب أو قرأ رأياً آخر فإنه قد يقع في صراع مع نفسه ، ولذلك آثرنا أن نعرض الآراء ونُرَجِّح أقواها حتى يكون الشاب على بينة من أمره . .

وأود أن يفهم شبابنا أن ديننا لا يُؤخذ بالرأي ، وإنما وقع الخلاف فيه في الفروع ، وفي فهم بعض النصوص ، وذلك تيسير من الله عز وجل على هذه الأمة ودليل حيوية هذا الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان . .

يقول الحنفية : « إن الاستمناء حرام . . إذا كان لإثارة الشهوة دون مبرر . . أما إذا غلبت الشهوة الرجل فاستمنى بقصد تسكين الشهوة فلا إثم عليه . . بل إنهم ذهبوا إلى أن الاستمناء واجب إذا خيف الوقوع في الزنا جرياً على قاعدة ارتكاب أخف الضررين » .

---

(١) محمد : ١٧ .

(٢) الطلاق : ٤ .

ويقول الحنابلة : « إن الاستمناء حرام إلا إذا خاف الزنا ولم تكن له زوجة ، ولم يقدر على الزواج فلا جُناح عليه » .

وقال المالكية والشافعية : « إن الاستمناء حرام مطلقاً ، وحجتهم في التحريم أن الله أمر بحفظ الفروج في كل الحالات إلا فيما أحل الله » .

رأي ابن حزم : يرى ابن حزم أن الاستمناء مكروه ، لأن مس الذكر بالشمال مباح وليس فوق ذلك إلا تعمد إنزال المني ، فليس ذلك حراماً لقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[1] . وليس هذا مما فُصِّلَ لنا تحريمه وقال: إنما يُكره الاستمناء لأنه ليس من مكارم الأخلاق » .

وبعد عرض أشهر الآراء في هذا الموضوع ينبغي أن نعلم أنه من الأصول المتفق عليها شرعاً أن كل ما أضر بالجسم فهو حرام لقوله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » . ولقول الله تعالى : ﴿ ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[2] . .

ومن هذا المنطلق فإننا إذا دققنا البحث في مساوئ هذه العادة ، نجد أنها تسوق الممارس لها إلى ضرر محقق فعلاً فهي :

أولا - تبدد طاقة الشباب ، وتشغله عن واجباته ، وتجعله ينفق الكثير من وقته في البحث عن المثيرات ، من صور عارية ، إلى فيلم عار ، إلى مجلة جنسية ، وتكون هذه الأشياء بمثابة الوقود الذي يوضع على النار ليزيدها إشتعالاً . .

ثانياً - ممارسة العادة السرية تُلهب خيال الشباب في أثناء ممارستها وذلك بتخيله لأوضاع مثيرة مما يؤدي به إلى إرهاق في الجهاز العصبي .

---

(١) الأنعام : ١١٩.

(٢) البقرة : ١٩٥ .

ثالثاً – ممارسة العادة السرية لا تُؤدي إلى الإشباع الجنسي الطبيعي مما يترتب عليه المبالغة في إدمانها ، ويكون مثل الشاب في ذلك كالعطشان الذي يشرب الماء المالح كلما إزداد شرباً إزداد عطشاً . .

رابعاً – الإدمان على العادة قد يجعلها ترتبط بإدمان في الجهاز العصبي ، فيتعود مدمنها على هذا الأسلوب الخاطئ في ممارساته الجنسية ، وبالتالي يؤثر هذا على مستقبله في معاشرة زوجته . . وهذا أيضاً بالنسبة للفتاة بالإضافة إلى أن ممارسة الفتاة لهذه العادة يصيبها بالتهابات في منطقة الحوض وكثرة في الإفرازات وقد يؤدي بها إلى فقدان بكارتها نهائياً . .

خامساً – انشغال الشاب بهذه الأمور الجنسية وسيطرتها على تفكيره بهذه الصورة غيرالطبيعية – سيجعله ينحرف ويفكر في لون آخر من ألوان الانحراف الجنسي يكون أكثر إشباعاً . . ومنهج الإسلام في معالجة مثل هذه القضايا هو سد الذرائع والطرق الموصلة إلى الفتنة والفساد . .

وهذا الذي سقناه إليك من مضار ممارسة هذه العادة هو الحد الأدنى لضررها النفسي والجسدي ونحن نراه كافياً للتحريم الشرعي . .

وقبل أن نسوق إليك الأدلة الشرعية التي تقوي مذهب الذين ذهبوا إلى التحريم ، فإننا نود أن نوجه أنظار شبابنا إلى أن حرمة ممارســة العادة السرية لا تصل بالطبع إلى حُرمة الزنا أو اللواط ، وذلك لأن ضررها لا يتعدى الشخص نفسه ، ولا يساهم في نشر التلوث الخلقي كالزنا أو اللواط ، بل إن ممارسها يكون متخفياً عادة ، ومن ثَمَّ أُطلق عليها اسم العادة السرية . .

ينبغي على الشاب الذي أغراه الشيطان بها ألا يُصاب بحالة من الانهيار العصبي ، آو الصراع النفسي بل ينبغي عليه أن يرجع إلى الله تائباً مستغفراً دارساً للأسباب التي أدّتْ به إلى الإخفاق أو التورط في هذه العادة – كما سنبين ذلك فيما بعد – دون أن يترك ذلك في نفسه أي أثر سئ . .

والآن إلى الأدلة الشرعية التي يرتاح إليها القلب وتطمئن إليها النفس ، والتي تؤكد ما ذهب إليه المُحَرِّمون لهذا الفعل غير الكريم ، وإن كان فيما عرضنا من المذاهب فُسحة لمن أوشك أن يتورط في جريمة الزنا ، والضرورة تُقَدَّرُ بقدرها . .

١- قال الله عز وجل في سورة « المؤمنـــــــون » :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾[1] .

فالذي يُفهم من الآيات بوضوح وجلاء أن حفظ الفرج واجب إلا من زوجة الإنسان أو ما ملكت يمينه فمن ابتغى الشهوة في غير ما ذُكر فهو المتعدي على الحدود التي حَدَّها الله تعالى . . والآية صريحة في الدلالة على ذلك .

٢- وقال الله تعالى في سورة « النـــــــور » :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[2] .

فانظر كيف أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات في الآية بالغض ومن البصر و« من » هنا للتبغيض في حين أمر بحفظ الفروج كلية . . فهذا يفيد - ولا شك - حفظ الفرج من أي انحراف جنسي بما فيه العادة السرية . . وما كان ربك نسياً.

---

(١) المؤمنون : ١ - ٧ .

(٢) النور : ٣٠ ، ٣١ .

ونجد أيضاً في السورة نفسها قوله تعالى :

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[1] .

ففي هذه الآية الكريمة طالب الحق - تبارك وتعالى - غير القادر على الزواج أن يستعفف وأن يتسامى ، وألا يقرب أي عمل جنسي ، وذلك حتى يغنيه الله من فضله ، ويقضي مطالب الجنس في مصرفها الطبيعي ألا وهو الزواج .

٣ - ومما يؤيد هذا الفهم الذي ذهبنا إليه قوله ﷺ : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[2] .

في هذا الحديث يصف الرسول ﷺ الدواء الذي لا بديل له في تصريف الطاقة الجنسية بلا مضاعفات جسدية أو نفسية ، فيَحُضُّ الشباب على الزواج إن قدروا عليه . . « ومن لم يستطع » لم يقل النبي ﷺ : فعليه بالعادة السرية فإنها تُنَفِّسُ عنه ما به ، ولكنه وجَّهَ الشباب إلى علاج حاسم يُقَوِّي الإرادة فتُسيطر على شهوات النفس .. ويصل الشاب بربه عَزَّ وجل ، ويخفف ضغط الغريزة عليه فقال : « فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وتذكرون الشاب الذي أتى إلى رسول الله ﷺ ليستأذنه في الزنا[3] . . هل تذكرون ؟؟!! هل وصف الرسول ﷺ له العادة السرية لتُخَفِّفْ حمْل الغريزة عليه ؟ كلا . . ولكنه أجرى له علاجاً روحياً جعل الزنا أبغض الأشياء إليه . فوجود السبب المُلِحْ الذي من أجله يمكن أن يبيح له الرسول ممارسة العادة قائم وتأخير بيان الحكم عن وقت الحاجة لا يجوز . . من ذلك ندرك أن ممارسة العادة السرية : حرام . .

---

(١) النور : ٣٣ .  (٢) متفق عليه .  (٣) مر الحديث في عاطفة الحب .

وأخيراً أهمس في أُذنك بقول الرسول ﷺ : « ما كرهت أن يراه الناس منك ، فلا تفعل بنفسك إذا خلوت » [١]

* * *

## • الطب والعادة :

قال الاستاذ الطبيب « Lasegue» : في كتابه « مقبرة الرجال ، أو مساوئ الدعارة في نظر العقل والعلم » : « من القواعد العامة أننا إذا دَقَّقْنَا النظر في الشبان المستسلمين للعوائد السّرية ، وفحصناهم من جهة الدماغ ، وجدناهم محدودي الفهم ، منحطين عن متوسط درجة رفقائهم ، ولاحظنا أنهم عاجزون عن بلوغ مركز في الهيئة الاجتماعية » [٢] .

وقال الدكتور « چورج سربيلد » : « إن المساكين المستعبدين للعوائد الرذيلة يفقدون القوة الجسدية والقوة الأدبية ، وما عادوا يصلحون لشئ فلا أهلية لهم في الاجتهاد ، ولذة العمل ، فهم يضجرون ويُضيعون أوقاتهم في التماس اللهو واللّذة ، ويقعون غالباً في فضائح لا اسم لها » [٣] .

وقال الطبيب « أ . س . سلمون » : « ليس من الصعب على الرجل أن يخالف نفسه عن المباشرة الجنسية إلى أن يتزوج ، ولا عبرة قط بترهات بعض مثيري السوء الذي يَدَّعُون - بلا حياء - أن إشباع الشهوة البهيمية ، وإرضاء النزعة الجنسية ضروري لحفظ الصحة وقوام الحياة ، فهو زعم باطل من الوجهة الطبية ، وأكابر الأطباء أثبتوا العكس » [٤] .

---

(١) رواه الترمذي وابن حبان .

(٢) الزنا ومكافحته .

(٣) المرجع السابق.

(٤) نفس المرجع .

وقال « Mantegazza » : « لم أشاهد مطلقاً مرضاً قد نتج عن الإمساك عن الجماع والتمسك بالعفة ، ويستطيع الرجال والفتيان على الخصوص أن يمارسوا أو يجربوا التمسك بالعفة ، فتصبح الذاكرة عندهم سريعة ومتصلبة والفكرة حية وخصبة والإرادة ذات قوة فعالة مع حزم في الطبع ، على العكس من الذين يسترسلون في الجماع حتى الإنهاك ، فلا يتمتعون بتلك الصفات الممتازة » [1] . . وهذا الكلام له نصيب كبير من الصحة ، فالواقع المشاهد أننا نجد الشاب المدمن لهذه العادة يفضحه مظهره ، تجده وقد غارت عيناه ، واصفر جلده ، وتخدد وجهه ، وذهبت ممارسة العادة ببريق الحياة في عينيه ، ونضرة الفتوة في وجنتيه ، ووهج الشباب في جسده .. وهو في كل حالاته مكتئب مهموم ، سارح الذهن ، مشتت الفكر ، متماوت المشية ، كأنه شبح هرم قد تكلف روح الشباب . . وسرعان ما تسرى في جسده روح الحياة . إذا هو عاد إلى رُشده وتخلى عن هذه العادة السيئة التي تُبَدِّد الجهد وتُضيع الطاقة الحيوية في جسم الإنسان . .

ويُوضِّح هذه المعاني الدكتور « ألكسيس كاريل » الحائز على جائزة نوبل في العلوم والآداب فيقول :

« للغُدد الجنسية وظائف أُخرى غير دفع الإنسان لإتيان عمل من شأنه حفظ الجنس . . فهي تزيد أيضاً من قوة النشاط الفسيولوچي والعقلي والروحي . . فليس هناك خصى أصبح فيلسوفاً عظيماً ، أو عالماً خطير الشأن ، أو حتى مجرما عاتياً ، لأن للخصيتين وللمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية ، إنها تولد الخلايا الذكرية والأنثوية ، وفي الوقت نفسه تفرز في الدم مواد تطبع الخصائص الذكرية أو الأنثويةوتعطي جميع وظائفنا صفاتها من المميزة على أنسجتنا وأخلاطنا [2] وشعورنا . وتعطي جميع وظائفنا صفاتها من الشـــدة ،

---

(١) الزواج ، لعمر رضا كحالة جـ ٢ ص ٢١٧ .

(٢) أخلاط الإنسان في الطب القديم هي أمزجته الأربعة : الصفراء ، والبلغم ، والدم ، والسوداء

فالخصية تولد الجرأة والقوة والوحشيـــة ، وهي الصفات التي تُميز الثور المقاتل عن الثور الذي يجر المحراث في الحقل . . ويؤثر المبيض في جسم المرأة بطريقة مماثلة ، ولكن عمله يستمر فقط إبان جزء من حياتها . . فحينما تبلغ المرأة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشئ . . وحياة المبايض القصيرة تجعل المرأة المتقدمة في السن أكثر ضعة من الرجل الذي تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جداً »[1] .

وهكذا رأينا قوة تأثير هذه الطاقة الحيوية في حياة الإنسان ، وكيف أنها تزيد في نشاطه الجسمي والعقلي والروحي .

وأذكر في هذا المجال كلمة قالها الأديب الروسي المعروف « ليو تولستوي » وهي تؤكد صدق ما قاله الدكتور « ألكسيس كاريل » ، يقول تولستوي في مذكراته :

« كلما أسرفتُ في أية لذة ، أفلت مني عقلي ، وتداعت أعصابي ، وعجزتُ عن مواصلة العمل في عناية ودأب ، وكلما استيقظت ، واعتدلت في ملذاتي ، أو تعففت عن ممارسة الجنس فترة طويلة ، دَبَّ في عروقي نشاط خارق ، وأحسست كأن سيلاً من دم جديد يَنْصَبُّ في إرادتي ، وأني بهذه الإرادة المُتَّقدة في وسعي أن أصنع المعجزات » .

هذا . . وإذا عرف شبابنا مكونات المني الحيوية فإنه سيعرف مدى الخطورة الصحية المترتبة على الإفراط في ممارسة هذه العادة السيئة ، فقد أثبتت التحاليل الطبية أن المني يدخل في تكوينه أكثر من اثنى عشر عنصراً ، منها:الصوديوم ، والبيكاربونات ، والبوتاسيوم ، والكالسيوم ، والزنك ، والســـيترات ، والكـلور ، والفوســفات ، والأزوت ، والفركتـوز ، واللاكتوز ،

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

وعناصر أخرى بالإضافة إلى ڤيتامين ( ب١ ) ،( ب٢ ) ، وڤيتامين ( ج)حيث يوجد في المَنِّيْ نسبة عالية من هذا الأخير .

ومما ذُكر في كتبنا الأدبية عن الإسراف في هذا الأمر قولهم : « والإكثار في الجماع يهدم العمر ، واعتبر ذلك بالبغل والعصافير ، فإن العصافير أكثر سِفاداً وأقصر أعماراً ، وليس من الحيوانات أطول عمراً من البغل » .

وذُكر عند الإمام مالك بن أنس الباءة فقال : « هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه أو أكثر » .

وقال معاوية : « ما رأيت منهوماً بالجماع إلا تبينتُ ذلك في مِشيته » .

ولقد صدق إمام العلوم كلها الشيخ الرئيس ابن سينا حيث يقول :

احفظ مَنِيَّكَ ما استطعتَ فإنَّهُ ماءُ الحياةِ يُصَبُّ في الأرْحامِ

* * *

## • العلاج الحاسم :

الزواج . . وهو العلاج الأوحد الذي وَجَّهَ الرسول ﷺ الشباب إليه في قوله: « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءَةَ فليتزوج . . » وليس كالزواج علاج ناجع للسكن الروحي والجسدي ، ومهما اجتهد علماء النفس وحملة الأقلام من مصلحين ومفكرين في البحث عن متنفس للطاقة الجنسية ، فلن يجدوا غير الزواج ، فهو السكن . . السكن بمعناه الواسع . . السكن الجسدي ، والسكن الروحي ، والسكن العاطفي ، وكل حل سوى هذا الحل الأمثل من انطلاق علي طريقة الحيوان ، أو اختلاط بين الجنسين ، أو غير ذلك من الطرق الملتوية ، فما هو إلا خبط عشواء في ليلة ظلماء ، والواقع الماثل أمام أعيننا يُكَذِّب هذه الأفكار الوهمية التي قد تُغلَّف بغلاف علمي وما هي من العلم في شئ . .

والمجال هنا لا يتسع لما نريد أن نقوله في هذا الموضوع ، ولكننا سنعرض رأياً للدكتور « مصطفى السباعي » - رحمة الله عليه - وهو رأي جدير بالدراسة والتأمل . . يقول الدكتور في معرض حديثه عن الزواج المبكر :

« وأريد بهذه المناسبة أن أتحدث عن تأخر الشباب والشابات - وبخاصة الطلاب والطالبات - في الزواج إلى الوقت الذي يضمنون فيه مستقبلهم بعد تخرجهم ، وهذه ظاهرة خطيرة أدت إلى مساوئ اجتماعية لا عداد لها . .

إن الزواج إذا يُسِّرت وسائله ، وقُضِيَ على التقاليد السيئة فيه يصبح أمراً عادياً جداً ، فالطالب الذي ينفق عليه أبوه يستطيع أن يضم إليه زوجة في نفس الغرفة التي يسكن فيها دون أن يرهق والده . .

ويجب أن نُفَرِّق بين الزواج ، وبين إنجاب الأولاد ، فقد أصبح من الممكن علمياً إيقاف إنجاب الأولاد إلى الوقت الذي يصبح فيه الزوجان قادرين على الإنفاق على الأولاد . .

والمهم أن تبكير شبابنا وشاباتنا في الزواج يعصم أخلاقهم من الانحراف ، ويهدئ أعصابهم ، ويقيهم أخطار الانفعالات النفسية ذات الأثر الضار في دراستهم واتجاههم السلوكي في الحياة . . . »[1] .

* * *

## • العلاج المؤقت :

الصيام . . « . . . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء » . . نعـــم . . فالصيام فيه تدريب على قوة الإرادة التي تجعل الشباب يتحكم في غرائزه الجامحة ، وفيه أيضاً تربية للنفس على مراقبة الله عز وجل ، وهذه المراقبة إذا تأصلت في النفس كانت هي حارس القيم في نفس الإنسان فلا يأتي من الأعمال إلا ما يُرضي الله عز وجل الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد . .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٦١ ، ٦٢ .

ومن ثَمَّ فإننا نجد أن النبي ﷺ يقول : « من أفطر يوماً من رمضان في غير رُخصة رَخَّصها اللّه له ، لم يقض عنه صيام الدهر كله ، وإن صامه » [1] .

لماذا ؟

لأن مثل هذا الإنسان سقط في امتحان الإرادة ، ومُني بالهزيمة والفشل أمام غرائزه . .

وأوه ألا يفهم الشباب توجيه الرسول ﷺ لهم بالصيام على أنه ينبغي على الشباب أن يقضي أيامه كلها صائماً إلى أن يتزوج . . كلا . . فإن ذلك يقعد بالشباب عن الكسب والإنتاج والتحصيل العلمي ؛ ولكن هناك سعة في هذا الأمر فكلما شعر الشاب بضغط الغريزة عليه صام ولو يوماً واحداً ، وهذا الصيام صيام تطوع وعبادة للّه عز وجل ولنا في هدى رسول اللّه ﷺ أحسن الأسوة:

« عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسول اللّه ﷺ : « لقد أُخبرت أنك تقوم الليل وتصوم النهار » قال : قلت : يارسول الله ، نعم ، قال : « فصم ، وأفطر ، وصل ، ونم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك - أي ضيفك - عليك حقاً ، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » قال : فشُدِّدتُ فَشُدِّدَ عليّ قال : فقلت : يارسول الله ، إني أجد قوة . قال : « فصم من كل جمعة ثلاثة أيام » قال : فشددت فشُدِّد علي قال : فقلت : يارسول اللّه ، إني أجد قوة . قال : « صم صوم نبي اللّه داود ، ولا تزد عليه » قلت : يارسول اللّه ، وما كان صيام داود عليه الصلاة والسلام ؟ قال : « كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً » [2] .

الصلاة [3] . .وإقامة الصلاة في أوقاتها تجعلك - دائماً - على صلة بالله، فهي صمام الأمان وناهية عن الفحشاء والمنكر . . وعلى الجملة فإن التوجه إلى

---

(١) رواه أبو داوود وابن ماجه ، والترمذي .

(٢) رواه أحمد وغيره .

(٣) راجع كتاب « الصلاة الخاشعة » للمؤلف .

الله عز وجل ، والتقرب إليه بالطاعات يبعد عنك وساوس الشيطان وهواجسه .

وهذه نصائح يُسديها إليك الدكتور « عبدالرازق الشهرستاني » ليساعدك على التخلص من هذه العادة السيئة ، وهي في جملتها تدخل تحت توجيهات ديننا الحنيف . .

١ - تشجيع الزواج المبكر . .

٢ - التثقيف الجنسي وإظهار مساوئ هذه العادة المستهجنة التي يمجها كل ذوق وإحساس . .

٣ - الابتعاد عن أفلام الجنس ، ووسائل الإغراء الأخرى كالمجلات ، والكتب المكشوفة ، والرقص الخليع ، ومباهج الزينة التي تُهَيِّج وتُثير الغرائز الجنسية وتُخرج الشباب عن الطريق المستقيم . .

٤ - ممارسة الرياضة والأعمال الفنية الجميلة . . والقيام بالمطالعة المفيدة . .

٥ - تناول الغذاء الصحي الحاوي على الخضروات والفواكه ، وترك المخللات والتوابل والمشروبات الكحولية ، والتقليل من اللحوم . .

٦ - تفريغ الفضلات والغازات والإدرار من الأمعاء والمثانة دون تأخير ، لأنها تسبب الاحتقان في منطقة الأعضاء التناسلية وتهيجها . .

٧ - اتباع الوسائل الصحية كالنظافة العامة ، والحمامات المائية والشمسية ، وترك الفراش حالاً عند النهوض من النوم والانشغال بأمور مفيدة . .

ونحن نزيد على هذه النصائح ما يلي :

- الاستغراق الكامل في العمل أو الهوايات التي تميل إليها ، فإن ذلك يستوعب طاقتك ويستثمرها وبالتالي يخفف من إلحاح الغريزة عليك . .

إذا دخلت دورة المياة لقضاء الحاجة ، فقل قبل دخولك : « بسم الله . . اللّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث »[1] وعليك بسرعة الخروج فور انتهائك من قضاء حاجتك واستبرائك . .

لا تُسَلِّم نفسك إلى الفراش إلا إذا أحسست أنك في حاجة حقيقية إلى النوم، وقل عند نومك هذا الدعاء : « اللهُّم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شئ ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت . أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجره إلى مسلم » . . قله إذا أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك[2] .

وإذا استيقظت من نومك فقل : « الحمد لله الذي رَدَّ عليَّ روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذِنَ لي بذكره »[3] ولا شك أن هذا الذكر سيبعد عنك الوسواس الخناس : ﴿ وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[4] .

- حاول قدر الإمكان ألا تنفرد بنفسك إلا إذا كان هناك عمل يستوعب انتباهك ويستولى على تركيزك . .

يقول « جون كنيدي » في كتابه « قوة الإرادة » : « وأسهل سبيل لتحطيم العادات السيئة هو ألا نحاربها . .وهذه ليست نصيحة بطولية فحسب ، ولكن أحسن طريقة لمعاملة العادات السيئة هي أن تفر منها ، فالولد الواقع فريسة للعادة السرية ، بدلاً من التركيز على إغرائها بالمقاومة الصلبة القاسية ، أفضل له كثيراً أن يرمي بنفسه في بعض النشاط الآخر الذي يستنفد نشاطه ويُشغل فكره . .

---

(١) حديث شريف .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) حديث شريف .
(٤) الأعراف : ٢٠٠ .

وقد يكسب المعركة بالقتال ، ولكن في الإمكان أن يكون الخيـال عنده أشد وأقوى ، ومن الأفضل كثيراً ألا نعطي الخيال شيئاً يتغذى عليه . وإن أحسن علاج للإدمان هو النشاط والعمل . .

وإن أشد العادات صعوبة هي تلك التي ترتبط بإدمان في الجهاز العصبي ، كتلك العادة المشار إليها أو كالإفراط في الشرب أو التدخين ، ولا يقتصر الأمر على الخيال لإنتاجها ولكن إلحاح الجسم ومطالبته أيضاً ، لذلك فإن الجسم مثله كمثل العقل ، يجب أن نتناوله بالتنظيم ، فالاستيقاظ المبكر ، والهواء الطلق ، والرياضة البدنية ، يجب أن تأخذ مكانها وتلعب دورها في حياتنا . .

وإذا فشلنا مرة فيجب ألا نترك الأمر كله وننهار ونتشاءم ، ويجب بعد الفشل أن تدرس أسبابه الموضوعية . لماذا فشلت وانهرتُ اليوم ؟ . هل أنا اتخذت قراراً سليماً ونسيت أن أصر عليه ؟ هل أصبحت مرهقاً نتيجة لعملية إيحاء ذاتي أو لاعتقادي أن الأمر ليس حسناً ؟ هل ابتعدت بعقلي عن المحاولة وتحوَّلتُ نحو شئ آخر ؟ وماذا كانت الظروف ؟ كيف أتلافاها مستقبلاً ؟

وباكتشاف أسباب الفشل نكون قد وضعنا أنفسنا في موضع أفضل من ذي قبل ونصير أكثر قدرة على معالجة حالات الضرورة في المرات التالية ، وبذلك نبتعد عن الفشل ونبحث عن طريق لنسيانه فيما عدا الدرس الذي تعلمناه منه ، وكل محاولة هي بمثابة تمرين للقوة . . لقد كنا سيئين . . ولكن سوف نعمل بطريقة أفضل في المرة القادمة . فإنْسَ وَتَقَدَّمْ بعزم نحو الأمام . .

ولا حاجة لأن نقول إننا يجب أن نقطع خط الرجعة على كل ما ينبه أو يسمح بظهور العادة التي نسعى للتغلب عليها ، وأن نتلافى مناسبات ظهورها . . وإذا كان بعض الأصدقاء والزملاء يعاونون على إغرائنا ، فيجب أن نضحي بهم ليحل محلهم آخرون . وإذا كانت بعض الكتب أو الروايات تثير خيالنا وتصورنا فيجب ألا نتصفحها . ويجب علينا أن ننمي في أنفسنا مثل هذه التصرفات

والضمانات باعتبارها الطريق السليم نحو الهدف الجديد . . وأما الجلوس بلا عمل أو سعي فهو أمر غاية في السوء »[1] .

* * *

## • الشعور بالذنب :

وهنا يتحدث أساتذة علم النفس عن أن هناك شعوراً بالإثم ، وإحساساً بالذنب ينتاب الشاب الذي يمارس العادة ويرجع هذا إلى تأنيب الضمير ومخالفة الدين . ولذلك فإن كل الأعراض الجسمية راجعة إلى أساس نفسي . .

يقول الدكتور « أحمد عكاشة » في كتابه « الطب النفسي المعاصر » :« ويعاني كثير من الشباب والشابات من آلام نفسية شديدة من جراء الصراع بين الرغبة في ممارسة الاستمناء ، والإحساس بالإثم ووخز الضمير وعصيان الدين ، ونصيحة الآباء ، وتبدأ الغالبية في الشكوى من أعراض الإعياء النفسي ، والتوهم المرضي ، وصعوبة التركيز ، والصداع ، وآلام الظهر ، والسرحان نتيجة لهذا الصراع النفسي ، وليس كنتيجة من ممارسة الاستمناء كما في ذهن كثير من العامة » .

ونحن مع الدكتور في بعض ما قال ، ولكن قد تكون بعض الأعراض المرضية جسدية فعلا نتيجة للإفراط في ممارسة العادة ووقوع بعض هؤلاء فريسة لها . . وقد ثبت في أبحاث الأطباء الذين يعتد بهم في هذا المجال أن الإدمان على العادة يؤدي بالفعل إلى الإعياء النفسي ، ويُرهق الجهاز العصبي ، ويضعف الغدد التناسلية ، فضلاً .. عن أنه لا يُحقق الإشباع الجنسي الطبيعي كما سبق أن بيننا ..

وفي نفس الوقت الذي نقول فيه ذلك ، فإننا لا نقول بأن الاستمناء يسبب الجنون ، وأمراض السل ، والشلل ، وقد يُؤدي إلى الانتحار وغير ذلك من قائمة الأمراض التي كان يقول بها بعض الأطباء قديماً قبل أن

---

(١) قوة الارادة « بتصرف » تأليف جون كنيدي ، ترجمة صلاح مراد ص ٦٦ وما بعدها .

يتطور البحث العلمي في هذا المجال ، ولا نذهب أيضاً إلى القول المطلق بأن أضرار العادة ما هي إلا أضرار أتت نتيجة الإيحاء أو الوهم كما يقول بذلك آخرون ، فكلا القولين مجاف للحقيقة العلمية . .

إنه ينبغي على كل من يتولى توجيه الشباب أن يعمل على مساعدتهم في التغلب على غرائزهم الضارة في هذه الفترة الحرجة من حياتهم . . وبدلا من أن نتملق غرائزهم ، ونغريهم بإشباع شهواتهم بأساليب منحرفة . . بدلاً من ذلك يحسن بنا أن نُعَلِّمُهُم كيف يُسَخِّرون طاقاتهم المذخورة في بناء حياتهم حتى يؤُمِّنوا مستقبلهم في عصر لا يعترف إلا بالكفاءة والتفوق . . نُعَلِّمُهُم أن فترة الشباب في عمر الإنسان هي الفترة الوحيدة التي من خلالها يستطيع الشاب أن يحقق أحلامه ، ولن يتم له ذلك إلا بإرادة صلبة ، وعزم متين ، وتسخير لإمكانات الجسم كلها في سبيل تحقيق هذه الأحلام . .

ونعود مرة أُخرى إلى الصراع النفسي الذي قد يتولد من ممارسة العادة ، لنرى كيف عالجه الإسلام ؟

إن الإسلام لا يفترض في الإنسان أنه مَلَكٌ كريم ، ولكنه يعامله على أنه بشر رُكِبت فيه الشهوات والغرائز ، ومن ثَمَّ فإنه لا يحكم عليه بالإعدام ولا بالطرد من رحمة الله بسبب ذنب ارتكبه أو إثم تَوَّرط فيه . .

فهذا الإحساس بالذنب والشعور بتأنيب النفس اللوّامة يزول تماماً عندما يتوجه الشاب بقلبه إلى ربه مقلعاً عن الذنب نادماً على ما فات مصراً على عدم العودة . . وقد جاء في الحديث الصحيح :

« إن اللّه تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[1] .

---

(١) رواه مسلم .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[1] .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[2] .

فينبغي على الشباب المسلم ألا ييأس من روح الله ، وألا يعرف الصراع النفسي إلى قلبه سبيلاً ، بل إنه قد يأثم إذا استعظم ذنبه إلى جوار رحمه الله وعفوه ..وكيف ذلك وهو الذي يناديك بهذا النداء القدسي الجليل : «أيها الشاب التارك شهوته من أجلي أنت عندي كبعض ملائكتي »[3] .

هل يبقى بعد ذلك إحساس بالذنب ، أو شعور بالإثم ، بعد أن تاب الله عليه ومحا ذنبه ، وأنسى « الحفظة » ما عمل ، وأنسى جوارحه ما عمل ، وأنسى بقاع الأرض ما عمل ، حتى يأتى يوم القيامه وليس عليه شاهد بذنب ؟

الإجابه سيجدها الشباب العائد إلى ربه ، راحة في النفس ، وطمأنينة في القلب وحيوية في الجسم - إن شاء الله تعالى ..

* * *

(١) النساء : ٤٨ . (٢) الزمر : ٥٣ . (٣) رواه أحمد .